المحاضرة الرابعة

اللغات الجزرية (السامية)

لعل أفضل النظريات في تقسيم اللغات هي التي تعوّل على صلات القرابة اللغوية، فتنشئ من كل مجموعة مماثلة أو متشابهة في الكلمات وقواعد البنية والتراكيب فصيلة من الفصائل، تؤلف بينها غالبًا روابط جغرافية وتاريخية واجتماعية. وعلى هذا الأساس لاحظ العلماء مجموعتين هامتين متميزتين، سموا إحداهما: الفصيلة الهندية - الأوربيةIndo - Europeenne ، والأخرى الحامية - السامية Chamito - Samitiques، وتنبهوا إلى صلات القرابة بين اللغات الداخلة تحت كلٍّ منهما على حدة، وإلى الصفات المشتركة بينها .

ويطلق العلماء اليوم على الشعوب الآرامية والفينيقية والعبرية والعربية واليمنية والبابلية - الآشورية، لقب الساميين، وكان العلامة الألماني شلوتزير Schlozer أول من استخدم هذا اللقب في إطلاقه على تلك الشعوب؛ وقد شاركه عالم ألماني آخر هو أيكهورنEichhorn ، في أو أوخر القرن الثامن عشر، بتسمية لغات هذه الشعوب "باللغات السامية."
والتسمية لم تخترع اختراعًا، فهي مقتبسة من الكتاب المقدس الذي وردف يه أن أبناء نوح هم سام وحام ويافث، وأن القبائل والشعوب تكونت من سلالتهم. ويبدو أن اللغات السامية قبل تفرقها كانت ترجع إلى أصل واحد، وتشكل شبه وحدة شعبية، إلّا أن من العسير جدًّا تعيين ذاك الأصل وتحديد هذه الوحدة؛ لأن المهد الأول للساميين ما يزال غامضًا مجهولًا، رغم أبحاث العلماء الكثيرة الواسعة الآفاق، و قد رجح كل من إرنست رينان الفرنسي ,Ernest Renan وبروكلمان الإلماني Broc Kelmann, أن الموطن الأول للشعب السامي هو القسم الجنوبي الغربي، من شبه الجريرة العربية..

ولابد من اختيار المصطلح الصحيح المناسب الذي اقترحه الاستاذ طه باقر وهو: (اللغات الجزرية) بدلا من (اللغات السامية).

وقد بنى الاستاذ طه باقر ذلك على ان الجزيرة العربية كانت مهد اولئك الاقوام الذين شملتهم تسمية الساميين وهي حقيقة اجمع عليها الباحثون .

فصائل اللغات السامية :

تنقسم اللغات السامية في أصل نشأتها إلى شرقية وغربية، فالشرقية هي اللغات البابلية - الآشورية، أو الأكادية، كمال يسميها المحدثون من فقهاء اللغة، نسبة إلى بلاد أكاد "Akkad وكان الأقدمون يسمونها: "الإسفينة أو المسمارية" لأن الناطقين بها أخذوا الخط المسماري ذا الزوايا ecriture cuneifrme عن الشعب السومري، حين تدفقوا إلى منطقته في القسم الجنوبي من بلاد العراق، ويظن أن المتدفقين على تلك المنطقة كانوا من القبائل العربية التي توالت هجراتها منذ الألف الثالث قبل الميلاد على وجه التقريب "٣٠٠٠ سنة ق. م".

والغربية: تنقسم هي الأخرى إلى شعبتين: شمالية وجنوبية، وفي الشمالية: الكنعانية والآرامية.
أما الكنعانية: فهي لغة القبائل العربية التي نزحت على الأرجح من القسم الجنوبي الغربي من بلاد العرب، واستوطنت فلسطين وسورية وبعض جزر البحر الأبيض المتوسط، وكان ذلك حوالي الألف الثاني قبل الميلاد "٢٠٠٠ ق. م" وهي تشمل اللهجات التالية:
١ .الأجريتية: وهي أقدم لغات المجموعة الكنعانية وأشهرها، اكتشفت نقوشها سنة ١٩٢٦ في رأس شمراء على الساحل السوري للبحر المتوسط، ويرتدّ تاريخها إلى القرن ١٤ ق. م. وعن هذه الأجريتية أخذ العالم الكتابة الأبجدية.
٢. الكنعانية القديمة: وقد جاءنا بعض مفرداتها في رسائل تل العمارنة "عاصمة مصر في عهد إخناتون". كانت مدونة باللغة الأكادية، وقد تبودلت بين ولاة مصر على فلسطين، وبين فراعنة ذلك العهد "أمنوفيس الثالث، وأمنوفيس الرابع، وإخناتون" في أواخر القرن الخامس عشر، والنصف الأول من القرن الرابع عشر "١٣٥٨-١٤١١" ق. م."
٣ . اللغة المؤابية) موأبيت) هي لغة سامية قديمة كانت محكية في بداية الألفية الأولى قبل الميلاد، في بلاد" مؤاب "شرقي نهر الأردن وعلى شاطئالبحر الميت، أو حسب الحدود السياسية العصرية ضمن أراضي المملكة الأردنية الهاشمية .ليس هناك من تحديد دقيق لانتشارها الجغرافي ولا الزماني ويعتقد لبعض أنها وجدت في القترة ما بين القرنين ٩ و ٥ ق م. لم يبق من اللغة المؤابية إلا بضعة أحجار منقوشة، ومنها :حجر ميشع 840)ق م (ونقش الكرك.وهي من الفرع الشمالي الغربي (المسمى أيضا ب"الفرع الكنعاني") لعائلات اللغات السامية. وتشابه اللغة

المؤابية اللغة العبرية التوراتية، أي صورة اللغة العبرية كما تتبين في أسفار التناخ/العهد القديم.

٤. اللهجة الشائعة في قرطاجنة هي البونيةpunique ، وهي متفرعة عن الفينيقية، غير أن البونية قُدِّرَ لها أن تبقى حتى القرن الخامس بعد الميلاد، فعاشت عمرًا أطول من عمر أمها الفينيقية الأصلية، وأقدم النقوش الفينيقية إنما يرجع تاريخه إلى القرنين التاسع والعاشر ق. م.
٥. العبرية: وهي أهم اللهجات الكنعانية على الإطلاق، وقد وصلت إلينا عن طريق أسفار العهد القديم، وفي ثنايا بعض النقوش واللوحات الصخرية، وأحيانًا عن طريق تلاوة اليهود لآيات التوراة وبعض الأوراد، ونحن نقصد بالعبرية طبعًا عبرية العهد القديم، وهي تختلف اختلافًا عظيمًا عن العبرية الحديثة التي أصبحت لغة الآداب اليهودية المستحدثة.
هذه هي لهجات الكنعانية: الأجريتية، والكنعانية القديمة، والمؤابية، والفينيقية، والعبرية.

وأما الآرامية:

شرقية اوسطية ، انطلقت مع قيام الحضارة في سوريا وسط الهلال الخصيب وتعد لغة مقدسة ، وكانت اللغة الرسمية في بعض دول العالم القديم ولغة الحياة ، تعود كتاباتها للقرن العاشر قبل الميلاد واصبحت اللغة المسيطرة بعد هزيمة المملكة الاشورية وقد كتب بها الارامية الفلسطينية ولازالت اللغة تستخدم كلغة تداول يومي في سوريا وبعض المناطق من العراق وامريكا .

و تطورت الكتابة الأرامية عبر العصور ليتوصل الآراميون لكتابة خاصة بهم في القرن السابع قبل الميلاد بالترتيب الابجدي. حتى اصبحت اللغة الرسمية للحضارة وقد انبثق من الارامية خطان هما الارامية التدمرية والسريانية